التذكير والتأنيث

في العربية والاستعمالات المعاصرة

الدكتور محمود إسماعيل عمّـــار

كلية المعلمين-أبها- السعودية

لا تفــرّق بعض اللغات البدائية بين المذكّر والمؤنّث، فتستعمل صيغة واحدة فـــي الضـــمائر والأفعال، وبعض اللغات الأرقى تميّز بين المذكّر والمؤنث في الضمائر، ولكنها لا تفرّق بينهما في الأفعال ولا في الصفات.

فالإنجلـيزية - علـــى ســـبيل المثال- وهي أكثر اللغات - اليوم- انتشاراً تستعمل (He) للمذكّر، وتستعمل (She) للمؤنث، ولكنها لا تفرّق بين الأفعال فهي تقـــول"(He Plays= هو يلعب) كما تقول (She Plays = هي تلعب) ولا تفرّق بيـــن المذكّر والمؤنث في الخبر، فهي تقول: (He is a teacher = هو معلم) كما تقـــول: (She is a teacher= هـــي معلمـــة) ولا فـــي الصـــفة فـــتقول : (Clever boy = ولـــد ماهـــر) وتقول: (Clever girl= بنت ماهرة)، ونفتقد فيها ضـــمير المثـــنى، فـــإذا وصلنا إلى الجمع وجدنا ضميراً واحداً يدل على المذكر والمؤنث هو(They هم أوهنّ) وأسماء الإشارة كذلك مبنية على عدم التمييز بين المذكّـــر والمؤنّـــث، فـــ(this = هـــذا أو هـــذه) و (That= ذلـــك أو تلـــك) إلى غير ذلك.

وهذه الأمور محسومة في اللغة العربية، ومحدّدة بتفصيل ودقة. وربمّا كانت اللغة العربية - اليوم- من أكثر اللغات اهتماماً بالتفريق بين المذكر والمؤنّث.. وكلمـــا زادت الآلة رفعة وتقدماً ودقة، زادت وظائفها، وتقدّمت صناعتها، ودقّت أجهزتها، وتنوّعت استعمالاتها، وكذلك هي اللغة...

حدثني أستاذ للغة الفارسية أن إحدى الجمعيات النسائية في بلد عربي ضاقت بالتفرقة بين المذكر والمؤنث في اللغة العربية، ودعت - في حمّى المساواة المطلقة بالرجل - إلى عقد ندوة لمناقشة هذا الأمر، علّها تتوصل إلى صيغة موحدة للمذكر والمؤنث على غرار اللغة لإنجليزية، ودعي هذا الأستاذ إلى المشاركة. ولكنه قال : إذا كانت المرأة تختلف عن الرجل في بنيتها وتكوينها فكيف تتساوى معه في اللغة؟ وإذا استطعنا أن نحذف(التاء) من قامت وذهبت مثلاً فهل نستطيع أن نحذف مظاهر الاختلاف التي تميّز بنية المرأة عن بنية الرجل ؟ فقوبل بالهياج والصياح والشتائم والقذائف . فما أنقذه إلا الفرار من باب خلفي .

والتأنيث في اللغة العربية: إما بالوضع: كزينب وسعاد، وسماء وناقة وهذه ونحوها وإما بالتحوير، كقولنا: زيد يكتب، وهند تكتب، وإما بإضافة علامة تنقل الفعل أو الاسم من التذكير إلى التأنيث، كقولنا: أكبر وكبرى، وأحمر وحمراء . ومسافر ومسافرة، وجاء الطالب وجاءت الطالبة، وهذا مجتهد وتلك مجتهدة.

وعلامات التأنيث كثيرة، بلغ بها الفرّاء خمس عشرة علامة: ثمان في الأسماء واربع في الأفعال، وثلاث في الأدوات[1]، ولذلك كان التأنيث بالعلامات أكبر أسباب التأنيث في اللغة العربية، وإذا حذفت العلامة عاد الفعل أو الاسم-كما في الأمثلة السابقة- إلى حالة من التذكير، تعيده إلى أصله . ونلحظ هذه القاعدة العامة في اللغة العربية في بعض الكلمات الإنجليزية إذا تأملناها بدقّة مثل: (Male ذكر، Female أنثى -Man رجل، Waoman امرأة - He هو، She هي).

وليس غريباً - بعد ذلك - أن يعدّ النحاة التذكير في العربية أصلاً، والتأنيث فرعاً عنه، كما خلقت حواء من آدم - عليهما السلام - مما يدل على أصالة هذه اللغة، وذوقها الرفيع.

يقول سيبويه: الأشياء كلها أصلها التذكير، تختصّ بعد ذلك (يعني التأنيث) فكل مؤنث شيء، والشي يذكر، فالتذكير أول [2] ويقول : اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث، لأن المذكر أول، وهو أشدّ تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التذكير، ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه قبل أن يعلم أذكرٌ هو أو أنثى ؟ والشيء ذكر[3] .

---

(١) عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية ص١٣٢، دار القلم، دمشق١/١٤٠٦ .

(٢) سيبويه، الكتاب ٣/٢٤١ تحقيق هارون، دار سحنون تونس ١٤١١هـ (٣) السابق١/٢٢.

(٣) المصدر السابق ١/٢٢.

وإذا كـــان الله تـــبارك وتعالى قد خلق من كل شيء زوجين : من الأناسيّ، والأنعام، والبنات، حتى الجمار- إذا تأملناه – ومصادر الطاقة والحركة والحياة، فـــإن مـــن دقّة هذه اللغة، وروعة الإحساس بالوجود فيها، وتكاملها مع عناصر الكـــون، ونبصـــر الحـــركة، ودفـــق الحياة أ تحتفل احتفالاً بالغاً بقضية التذكير والتأنيث، وتعطي هذا الجانب دقة لا نجدها في غيرها من اللغات، وتتمتع برهافة لا تتأتي إلا من عايش هذه اللغة، ولامست منه حبّة القلب وشغافه.

قصّ أحمد أمين عن امرأة إنجليزية كانت تتعلم عليه العربية، اعتراضها على تأنيـــث الشمس وهي قوية، وتذكير القمر، وهو لطيف وديع، وكـــان الأولـــى- في رأيهـــا – أن تذكر العربية الشمس، وتؤنث القمر، كما يفعل الإنجليز[1] وفاتها أن تأنيـــث الشـــمس ليس جنساً حقيقياً، بل هو جنس نحوي، وهذا التأنيث في الشمس دون تأنيـــث فـــي فاطمة وغزالة . ولهذا قال النحاة إنها مؤنث مجازي، فيقال : طلـــع الشـــمس، وطلعت الشمس، وما بقي من التأنيث في الشمس فلأنها مصدر الحـــركة والحياة والتكاثر والنماء على الأرض- كما المرأة في الحياة الإنسانية – ولا تتأتى الحياة من دونها، كما لا تتأتى من دون المرأة، وليس للقمر هذه المزية . ورحم الله أبا الطيب حين قال :

وما التأنيث لاسم الشّمْسِ عيبٌ ولا التذكيرُ فخـــرٌ للهـــلال

حتى عدّ ذلك من معانيه التي تفرد بها [2] .

وفـــي ضوء هذا المنهج من الدقة والتفصيل، قسم الاسم في العربية إلى مذكّـــر ومؤنـــث، ســـواء كان مفرداً أو مثنى أو جمعاً، وتأثر بذلك أيضاً الفعل، والخـــبر، والصفة، والحال، والعدد، وغيرها، ووضع لكل حالة الضمير المناسب لهـــا، بـــارزاً أو مستتراً، منفصلاً أو متصلاً، ضمير رفع أو ضمير نصب، دالاً على ما يعبّر عنه من تذكير أو تأنيث، وامتد هذا التقسيم إلى أشياء أخرى:

---

(١) أحمد أمين، حياتي ص ١٨٥، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧١/٢.

(٢) ديوان المتنبي بشرح الكعبري١٨/٣ تحقيق السقا وأخرين، دار المعرفة بيروت ١٣٩٧.

كأســماء الإشارة والأسماء الموصولة، وقسّم المؤنث إلى حقيقي ومجازي، وإلى لفظي ومعنوي [١] .

ومــع كــلّ هــذا التفصيل أبقت العربية بعض قنوات الاتصال بين المذكر والمؤنــث مفتوحة،إشــعاراً بالتكامل والصلة بين الجنسين، كما يحدث في الحياة العامــة حين تظهر بعض صفات الذكورة أو الأنوثة في الجنس الآخر.. وليبقى للتعبــير الأدبــيّ والفنيّ لمساته في التذوق والإبداع، ولئلا تكون القاعدة صارمة بــالقدر الــذي يخــنق الفــن، أو يقتل الحركة الذهنية عند المتحدث أو الكاتب، فأجــازات اللغة كلمات " مذكرة وصف بها المؤنث، كما يوصف المذكّر بمؤنث، لا يكون إلا لمذكّر" [٢] .

ويقــول ســيبويه أيضــاً : " وقد يكون الشيء المذكّر يوصف بالمؤنّث، ويكــون الشــيء المذكّــر له الاســم المؤنّث.. ويكون الشيء المؤنّث يوصف بالمذكّــر، وقــد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر [٣] ويمكن أن يتولد من ذلك عدة حالات تضم كل واحدة مجموعة من الصور، كما يأتي:

١- ما يذكرّ ويؤنث، ويظهر في :

- ألفــاظ محفوظــة، أشهرها كما ذكره السيوطي: القليب، والسلاح، والصــاع، والســكين، والإزار، والســراويل، والعريس، والعنق، والسبيل، والطريق، والدلو، والسوق، والعسل، والعاتق، والعضد، والعجــز، والســلم، والفلــك، والنهر، والحال، والمتن، والكراع، والــذراع، واللســان،والزقاق، والصــراط، والــروح، والذنوب، والخوان، والسنان، والصواع [٤] .

---

(١) الحملاوى، شذا العرف ص ٨٥، المكتبة العلمية، وانظر: معجم القواعد كالسابق.

(٢) كتاب سيبويه ٦٣/٣.

(٣) كتاب سيبويه ٢١٢/٢.

(٤) المزهــر ٢٢٤/٢- ٢٢٥ تحقيق جاد المولى وزميله، دار التراث بدون. وانظر أزاهير الفصحى لأبي السعود ص ١٦٤ والمنجد ص (و).

- تحدثـــت كتب النحو بالمواضع التي يجوز إلحاق تاء التأنيث بفعل الفاعل ويجوز تركها، وهي أربعة:

أحدها : أن يكون الفاعل اسماً ظاهراً مجازي التأنيث، فتقول : طلعت الشمس وطلع الشمس.

الثانـــي : أن يكون الفاعل حقيقي التأنيث، منفصلاً عن العامل بغير(إلا) كقولك : حضرت القاضي امرأة وحضر القاضي امرأة.

الثالـــث : أن يكون العامل، نعم أو بئس: نحو نعمت المرأة هند، ونعم المرأة هند.

الرابع: أن يكون الفاعل جمع تكسير، أو اسم جنس أو اسم جمع، تقول : جاء الزيود، وجاءت الزيود، وقال الأعراب وقالت الأعراب، وأورق الشجر وأورقت الشجر[1] .

٢- ما جاء بالتاء دالاً على المذكّر، ويظهر في :

- الأعـــلام المذكّـــرة المخـــتومة بـــتاء التأنيث : كمعاوية، وحمزة، وطلحة، وحذيفة،...إلخ

- الصفات المختومة بتاء المبالغة: كراوية، وطاغية، ونابغة...إلخ

- الـــتاء الدالّـــة علـــى توكيد المبالغة : كعلاّمة، ونسّابة، ومطرابة، وملولة.. إلخ .

- مـــا بسنى علـــى (فُعَلة) للدلالة على المبالغة : كهمزة، ولمزة، وهـــزأة، وضحكة، قال المبرد: هذا كثير لا تنزع منه الهاء، فأما

---

(١) منار السالك ٢٤٨/١ وقطر الندى ص ١٨٢- ١٨٣.

راويـــة وعلاّمـــة ونحوهمـــا فحذف الهاء جائز فيه ولا يبلغ في المبالغة ما تبلغه الهاء [١] .

- ما ختم بتاء عوضاً عن ياء النسب: كأشاعرة، ومغاربة، وأفارقة، جمعاً لأشعريّ، ومغربيّ، وأفريقيّ . والعامة يقولون : مصارية جمعـــاً لمصـــريّ. وقد تكون التاء عوضاً عن حرف زائد لغير معنى في المفرد: كزنادقة جمع زنديق[٢].

- مـــا ختم بتاء الجمع كما في أساتذة وتلامذة وجهابذة أو جاء على (فعَلة) كطلبة أو على (فِعَلة) كقردة، وغيرها.

- ما بنى على التاء ووصف به المذكر والمؤنث، تقول: رجل ربعة وامرأة ربعة، وغلام يفعة وجارية يفعة، وهذا كبْرة ولد أبويه وهذه كبْرة ولد أبويها، وهو عجزة وهي عجزة أي آخر الأخوة، ورجل إكبرّة قومه وامرأة إكبرّة [٣] والرميّة للذكروالأنثى تقول : كانت رميتك حماراً، وكانت رميتك بقرة [٤].

- ذكـــر السيوطي في مزهره مجموعة من الأسماء المشتملة على تـــاء التأنيـــث ممـــا يقع على المذكر والمؤنث، مثل : السخلة، والـــبهمة، والحية، والشاة، والبطة، وحمامة، ونعامة، ودجاجة، ونحلـــة، ودراجة، وجرادة، وبومة، وبقرة، وحبارى: قال: وكلها تقع على الذكر والأنثى[٥].

- تقـــول: هذه دجاجة وهذا دجاجة ويختص الذكر بلفظ ديك، وتقول: هـــذه بقـــرة وهذا بقرة ويختص الذكر بلفظ ثور، وتقول هذه شاة وهـــذا شاة، ويختص الذكر بلفظ خروف، وتقول هذه البطة ذكر، وهذه البطة أنثى[٦].

---

(١) المزهر ٢٠٦/٢.

(٢) منار السالك ٢٧٨/٢.

(٣) المزهر ٢١٨٣/٢.

(٤) لسان العرب (رمى).

(٥) المزهر ٢٢٢/٢.

(٦) أزاهير الفصحى ص ٣١٥ .

٣- **ما جاء دالاً على المؤنث من غير تاء، ويظهر في :**

- **المؤنثات المعنوية:**

الأسماء التي يستدل على تأنيثها بالمعنى أربعة هي :

أعـــلام الإناث كمريم وزينب، ونحن هذه الأيام نسمى : إيمان وصفاء وإخلاص.

الأسماء المختصة بالإناث نحو : أخت، بنت، أم .

أســماء الــبلاد والمدن والقبائل (على إرادة البقعة والقبيلة) كالشام ومصر وقريش.

أسماء الأعضاء المزدوجة: كالعين والرجل والأذن. وهذا حكم أغلبي لأن منها ما هو مذكّر مثل الصدغ والحاجب والخّد والمرفق [١]

- **المؤنثات المجازية:**

وهي التي عاملتها العرب معاملة المؤنثات الحقيقية، ويستدل على تأنيثها: بضمير المؤنث أو إشارته، أو لحاق تاء التأنيث بالفعل، نحو: هــذه الشــمس رأيتها طلعت، أو ظهور التاء في تصغيرها كدويرة، أوحذفها من اسم العدد: كثلاث آبار[٢].

ويــتوقف فــيها علــى النقل والسماع، وقد ذكر منها عباس أبو السعود نحو (٦٠) كلمة[٣] وذكر المنجد (٤٠)[٤]، ونكتفي في التمثيل

---

(١) سيبويه ٢٤٧/٣ والمنجد ص (و).

(٢) شذا العرف ص ٨٥.

(٣) كتابه ص ١٥٨ – ١٦٣.

(٤) المنجد ص(و).

بمـــا أورد الســـيوطي، وهـــي: السماء والأرض، والقوس والحرب، والـــذود والإبـــل، ودرع الحديـــد لا درع المرأة، وعروض الشعر، والرحم والرمح، والغول، والجحيم والنار، والشمس، والنمل، والعصا، والرحى، والدار والضحى والقتب والفأس والقدوم والسرى[1].

- أسماء الرياح، مثل:

صبا، جنوب، دبور، شمال، هيف، حرور، سموم، دثور ... إلخ، قال سيبويه: سمعناهم يقولون : هذه ريح حرور، وهذه ريح شمال، وهذه الريح الجـــنوب، وهـــذه ريـــح سموم وهذه ريح جنوب، سمعنا ذلك من فصحاء العرب، لا يعرفون غيره[2].

- المصـــدر الذي يخبر به عن الأنثى، أو يقع صفه لها، فيكون بمعنى اسم الفاعل، أو على حذف مضاف، أو يحمل على المبالغة تقول: فاطمة عدل أو صدق، وكذا قولنا: هذه امرأة صدقٌ، أو جاءت امرأة عدلٌ، وتقول : رجـــل زور، وامرأة زور، ورجل نصف وامرأة نصف، أي من أوساط الناس، وتقول هذه امرأة نهيك من امرأة[3].

- ويجـــري هذا المجرى كلمات مثل : بحت، محض، قُلب، قمح، حق.. وفي القرآن الكريم: "ويعلمون أنها الحق" الشورى ١٨ .قال ابن مالك:

ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتذكيرا

ومن الناس من يجيز إلحاق التاء في هذه الأمثلة[4].

---

(١) المزهر ٢/٢٢١.

(٢) انظر : اللسان (زور) والقاموس (نصف) والصحاح (نهى).

(٣) راجع : محمد العدناني : معجم الأغلاط اللغوية ٥٠٢- ٥٠٤ مكتبة لبنان ١٩٩٦.

(٤) المزهر ٢٠٦-٢١٦ وأزاهير الفصحى ٣٢٢-٣٢٤.

- جمـــع التكســـير لغير العاقل يكون دائماً مؤنثاً، سواء كان مفرده مؤنـــثاً: كجواهـــر وعيون، أو مذكراً كحبال ورماح، تقول : هذه رماح، وتكسرت الرماح.

- **الصفات الخاصة بالأنثى . وهي كثيرة :**

وقـــد فصلها السيوطي: فمنها ما يطلق على النساء، وما يطلق علـــى الظباء، وما يطلق على الشاء، وما يطلق على النوق، وما يطلـــق على الخيل.. إلخ . فمن صفات النساء : جارية كاعب، ونـــاهد، ومُعْصِر، وعارك، وطامث، ودارس، وحائض، وامرأه مُعْيِل ومسلب(مات ولدها) ومذكار، ومئنات، ومُذكِر ومُؤنِث (إذا كانـــت تلـــد الذكـــور أو الإناث) وثاكل وبائن، وسافر، وواضع (وضعت خمارها)... إلخ

- **ما يوصف به المذكر والمؤنث خالياً من علامة التأنيث، مثل :**

زوج، ضـــيف، دنف، عاشق، عاقر، أيّم، عانس، حاسر، ثيّب، خـــادم، بِكر، ناشئ، وكلها تطلق على المذكّر والمؤنّث، وتقول، شاب أُملود وجارية أملود، وثوب خلق وعمامة خلق، وبعير أو ناقة بازل وظهير، وهو كِبْر قومه، والمرأة كِبْر وابن عم أو ابنة عـــم لَـــحٍ، وهو أو هي مصاص الحاضرين (خالصهم) ورجل أو امرأة غِرٌ، ورأس أو لحية ناصل الخضاب، ورجل أو امرأة وقاح الوجه، ورجل رقوب (لا يعيش له ولد) وكذا امرأة رقوب، وجمل ضـــامر وناقة ضامر، ونُصيف (تصغير نصف = متوسط العمر) للمذكـــر والمؤنـــث، ورجـــل عـــروس (وجمعها عُرُس) وامرأة عـــروس (وجمعهـــا عرائس)، ورجل زير وامرأة زيـــــر(في القول).

- **الأوزان الخمسة التى يستوي فيها المذكر والمؤنث ، وهي :**

فعول بمعنى فاعل : هذه امرأة صبور شكور، وفعيل بمعنى مفعـــول إذا عرف موصوفه :كف خضيب : وشاة ذبح ، قال سيبويه : الهاء في غالب الأمر إنما تكون للإشعار بأن الفعل لم يقع بعد بالمفعول، يقولون: هذه ذبيحتك للشاة التي لم تذبح بعدُ كالضحية، فإذا وقع بها الفعل فهي ذبيح[١] .

ومِفعـــال، ومِفعـــيل، ومِفعـــل: هذه امرأة مهذار، ومعطير، ومغشم .

وشذّ: امرأة عدوّة، ومسكينة، وميقانة، وملحفة جديدة [٢].

- ذكـــر الســـيوطى مجموعـــة من الأسماء التي تقع على الذكر والأنثى من غير علامة تأنيث، مثل : إنسان : يقع على الرجل والمرأة (وسمع إنسانة لدى المولدين)، والفرس للذكر والأنثى، (وقيل فرسة) والبعير للجمل والناقة، والجزور، والذباب وكل منها للذكر والأنثى [٣].

- تفـــيد بعـــض المعجمـــات اللغوية إمكان إطلاق : ولد، وطفل، ومحـــبّ، وحبيب، ورفيق، وصديق، على الذكر والأنثى، قال أبـــو زياد في حديثه سألني رفيقي، أراد زوجتي، ورفيق المرأة زوجها، قال كثيّر :

ليالِيَ من عيشٍ لهونا بوجهه زماناً، وسُعدى لي صديقٌ مواصلُ

وفي التنزيل : "إنّ رحمة الله قريب من المحسنين" الأعراف ٥٦ [٤]

ومـــن لطائف ما أورده السيوطى قوله: لم يأت مؤنث على المذكر إلا في ثلاثة أحرف :

---

(١) انظر : اللسان (رمى) .

(٢) راجع : منار السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار ٢٧٧/٢ مطبعة الفجالة.

(٣) المزهر ٢٢٣/٢ .

(٤) انظر : اللسان المواد المذكورة، وأخطاء مشهورة للمعلمى ص ٢٥-٢٧، والكشاف ٨٣/٢.

الأول: في التاريخ، تقول : صمت عشراً، ولا تقل : عشرة، معلوم أن الصوم لا يكون إلا بالنهار، وفي الحديث : "من صام رمضان، وأتبعه ستاً من شوّال. . "

الثاني: أنك تقول : الضبع للمؤنث، وللمذكر: ضِبعان (بالكسر) فإذا جمعت بين الضبع والضبعان قلت : ضَبعان (بالفتح) ولم تقل: ضبعانان – كرهوا الزيادة (١)

الثالث: أن النفس مؤنثة، فيقال ثلاثة أنفس: على تقدير: رجال : ولا يقولون : ثلاث أنفس إلا إذا ذهبوا إلى لفظ نفس أو معنى نساء (٢)

ومهما يكن من أمر، فإن كثيراً من الملاحظ البلاغية، والدلالات النفسية والشعورية، وأغراض التعبير، وأهداف المعنى، ودقة المضمون تكمن في اختيار اللفظ عند التعبير الأدبي الناضج، وإيثار كلمة على أخرى، وكذلك الأمر في إيثار التذكير أو التأنيث أحياناً، وفي القرآن الكريم كثير من ذلك.

فانظر إلى قوله تعالى: "أَوَلَيْسَ الذي خَلَق السموات والأرضَ، بقادرٍعلى أنْ يخلقَ مثلهم" يس ٨١، حيث تعددت احتمالات عود الضمير، قال الآلوسي- رحمه الله – : " زعم جماعة من المفسرين عود ضمير(مثلهم) للسموات والأرض، لشمولهما لمن فيهما من العقلاء، فلذا كان ضمير العقلاء تغليباً " (٣)

قال سيبويه: "زعم الخليل – رحمه الله – أن" السَّماءُ مُنفَطرٌ به" "المزمل١٨" كقولك: "معضّل " للقطاة، وكقولك "مرضع" للتي ترضع بها الرضاع وأما المنفطرة فيجيء على العمل، كقولك : "منشقَّة" وكقولك: "مرضعة" للتي ترضع،

---

(١) هناك من يرى في هذين الموضعين خلاف ذلك. انظر حاشية الصبان ٦١/٤ ومختار الصحاح (ضبع).

(٢) المزهر ٨٧/٢.

(٣) تفسيره (روح المعاني) ٥٦/٢٣ .

وأمـــا " كـــلٌ في فلك يسبحون " الأنبياء ٣٣، ويسن ٤٠، و" رأيتهم لي ساجدين " يوســـف ٤، و " يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم " النمل ١٨، فزعم أنه بمنزلة ما يعقـــل ويسمع، لمّا ذكرهم بالسجود، وصار النمل بتلك المنزلة حيث حدّث عنه، كمـــا تحدّث عن الأناسيّ، وكذلك " في فلك يسبحون " لأنها جعلت – في طاعتها وفي أنه لا ينبغى لأحد أن يقول : مُطِرنا بنوء كذا، ولا ينبغي لأحد أن يعبد شيئاً مـــنها– جعلـــت بمـــنزلة مـــن يعقل من المخلوقين، وتبصر الأمور، قال النابغة الجعديّ:

شربتُ بها والدِّيكُ يدعو صباحَهُ إذا ما بنو نعشٍ دَنَوْا فتصوَّبوا

فجاز هذا حيث صارت الأشياء عندهم : تؤمر وتطيع، وتفهم الكلام، وتعبد، بمـــنزلة الآدميين[1] ويقول الله تعالى : " ثم استَوى إلى السماء، وهيَ دُخانٌ، فَقَالَ لَهـــا وللأرضِ أ ئتيَا طوْعاً أو كُرهاً، قالتا: أتينا طائعين، فَقَضاهنّ سبعَ سموات " فصـــلت ١١– ١٢. قال الزمخشريّ : فإن قلت هلاّ قيل: طائعتين على اللفظ، أو طائعـــات علـــى المعـــنى، لأنهـــا سموات وأرضون؟ قلت: لما جعلن مخاطبات ومجيـــبات، ووصفهن بالطوع والكره، قيل : طائعين (على جمع العقلاء وهي لا تعقل) نحو قوله " ساجدين " [2] وضمير النسوة (فقضاهن) لا يخلو من مثل هذا الملحظ.

وانظر إلى قوله تعالى في الحديث عن الأصنام: " أيُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شـــيئاً، وهـــم يُخلَقُـــون، ولا يســـتطيعُون لَهُم نَصْراً، ولاَ أنفُسَهُم يَنْصُرُون، وإن تدعُوهُـــم إلـــى الهُدى لا يتّبعوكُم، سواءٌ عليكُم أدَعَوتُموهُم أم أنتُم صامتون، إنّ الذيَـــن تدعـــوَن مـــنْ دونِ الله عـــبادٌ أمثالُكُم، فادعُوهُم فليستجيبُوا لكُم إن كُنتُم صادقين، ألُهم أرجلٌ يمشونَ بها، أم لهم أيْدٍ يبطشوَن بها، أم لهم أعينٌ يبصرونَ بها، أم لهُم آذانٌ يسمعوَن بها " الأعراف ١٩١– ١٩٥ .

---

(١) كتاب سيبويه ٢/ ٤٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٤٦.

حيث أنزل الأصنام منزلة العقلاء، فاستعمل " هم متصلاً، ومنفصلاً، وواو الجماعة، واسم الموصل (الذين)، وحقّها أن يقول: ما لا تخلق شيئاً، وهي تخلق ...إلخ، ولكن التعبير القرآني قصد إلى:

- أن المشركين لمّا ادّعوا أنها تضرّ وتنفع، وجب أن يعتقدوا فيها أنها عاقلة فاهمة، فجاء التعبير على وفق معتقدهم .

- أن الحديث جاء على سبيل السخريّة والاستهزاء، والتبكيت للمشركين، والاستخفاف بعقولهم ومداركهم .

- فيه لفت وتعجيز للمشركين، كأنه قال : إن قصارى هذه الأصنام أن تكون حيّة عاقلة أمثالكم، فبم استحقّت الألوهية ؟ ولم كنتم عبيداً لها ؟ (١)

- ضمير العاقل ملحوظ فيه ما وراء الأصنام من الرمز حيث يعتقدون أن الأصنام ترمز إلى الملائكة حيناً،وإلى الآباء والأجداد حيناً وإلى ذوات الأرواح حيناً آخر .

- التعبير القرآن فيه الإشارة إلى أنواع من الشرك، أبرزها : اتخاذ آلهة من البشر، يشرّعون الشرائع الاجتماعية والأحكام التي تصرف عن دين الله، كما قال تعالى : " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله " - التوبة ٣١ (٢) .

والمتأمل في استعمالات التذكير والتأنيث في اللغة المعاصرة، كما تبدو في كتابات الكتّاب، وبعض البحوث والرسائل العلمية، والدراسات، وفي لغة

---

(١) محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن ٥/٤/٣، دار الإرشاد سنة ١٤٠٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ١٤١٤/٣ دار الشروق ط ١٧ سنة ١٤١٢ .

الصحافة، ونشرات الأخبار، وفي الخطب والمقالات، وأحاديث الناس ... يجد بعض الخلط والاضطراب الذي يخرج عن القواعد السابقة، التي قررتها العربية، لغير هدف بلاغيّ أو أدبيّ .

وفيما يأتي بعض الصور والاستعمالات التي أمكن ملاحظتها:

١. العـــدد، مـــثل: اســـتلمت خمس كتب، واشتريت خمسة جرائد، والصـــواب : تســـلّمت خمسة كتب واشتريت خمس جرائد، لأن الـــثلاثة والعشرة (المفردة) وما بينهما تؤنّث مع المذكر وتذكر مع المؤنث.

وكان يتبادر إلى الذهن أن تنحو اللغة إلى المطابقة بين العدد والمعدود، ولكن لما كانت هذه الأعداد قد بنيت على التأنيث في وضعها، وكان التذكير أصلاً، فقد ناسب أن يبقى العدد مؤنثاً مع المذكـــر، ولمـــا كـــان التأنيث فرعاً، يحتاج إلى علامة، جعلت علامـــته حذف التاء فذكّر مع المؤنث، ولذلك قال سيبويه : ثلاثة لا يقع إلا لمذكّرين[١] .

٢- تمييز العدد: حيث يفرد فيما حقه الجمع، مثل (٧) كتاب، و (٩) قلم، ويقولون: ثلاثة مليون، وستة مليار، والصواب : سبعة كتب وتســـعة أقـــلام، وثلاثـــة ملايـــين، وستة مليارات، لأن الأعداد (٣-١٠) تضاف إلى جمع مكسّر من أبنية القلقة إن وجد [٢].

---

(١) كتاب سيبويه ٣/٣٣٧.

(٢) منار السالك ٢/٢٥٢.

وقـد تعجبت المرأة الإنجليزية التي تحدث أحمد أمين عنها، مـن قول اللغة : ألف كتاب، وكان الأولى أن تقول : ألف كتب، ما دامت تقول: ثلاثة كتب، من باب أولى[1] .

ولعـل اللغة قصدت إلى جبر العدد القليل (٣-١٠) بإضافته إلـى الجمـع، واكتفت في غيره المفرد، منصوباً (١١- ٩٩) أو مجروراً (١٠٠- ١٠٠٠) وما جرى مجراهما .

٣- تأنيـث المفـرد المذكّر إذا كان مضافاً إلى جمع مؤنث سالم، أو جمـع تكسير، فهم يقولون: زرت إحدى المستشفيات، وأعجبت بـإحدى الأقسـام، وأجبـت عـن إحـدى الأسئلة، وفي إحدى المؤتمـرات حدث كذا. والصواب في كل ذلـك (أحد) لأن المفرد منها مذكر .

٤- تذكير المؤنّث المضاف إلى ما سبق- عكس الحالة السابقة - مثل : قابلته في أحد العيادات، وكان الدواء في أحد الزوايا .

والصواب : إحدى، لأن المفرد مؤنّث. فيقال : إحدى العيادات، وإحدى الزوايا.

٥- تأنيـث الخبر عندما يكون المبتدأ مضافاً إلى مؤنّث، مثل : عدد المحاضـرات كثيرة، وعمل اللجان رائعة، وعدد الساعات قليلة، وجهد المدارس ملائمة.

والصواب: كثير، ورائع، وقليل، وملائم.

٦- تأنيـث الصفة إذا كان الموصوف مضافاً إلى مؤنث، مثل: عدد المحاضرات الكثيرة مجهد، وعدد الساعات القليلة ضياع للوقت، والصواب : الكثير والقليل لأنهما صفة للمذكر .

---

(١) حياتي ص ١٥٩.

٧- تأنيث الفعل لأن الفاعل (أو ما في حكمه) مضاف إلى مؤنث، مـثل : كـثرت عدد محاضراته وكانت عدد ساعاته عشرين. والصواب ترك التأنيث في الفعل.

وربمـا قبل التأنيث على التوسع. قال سيبويه : وسمعنا من يوثـق به من العرب يقول: اجتمعت أهل اليمامة، لأنه يقول في كلامه: اجتمعت اليمامة، يعني أهل اليمامة، فأنّث الفعل في اللفظ، إذ جعله في اللفظ لليمامة، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام[١] .

٨- إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه جاز أن يكتسب التأنيث مـنه، قال سيبويه : " وقد أدخلوا التأنيث فيما هو أبعد من هذا، أدخلوه فيما لا يتغير منه المعنى لو ذكّرت، قالوت: ذهبت بعض أصـابعه " [٢] وقال : "إنما أنث(بعض) لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه، ولو لم يكن منه لم يؤنّثه، لأنه لو قال : ذهبت عبدُ أمّك، لم يحسن، وساق أمثلته على التأنيث من قول الأعشى :

وتشرقُ بالقول الذي قد أذَعتَهُ كما شَرِقَتْ صدرُ القناةِ من الدمِ

لأن صدر القناة مؤنث، ومثله قول جرير :

إذا بعضُ السنينِ تعرَّقتنا كفى الأيتامَ، فقَد أبي اليتيمِ

لأن (بعض) ههنا سنون، ثم أوضح جواز التأنيث وعدمه في هـذه الحالة، ولكن ترك التأنيث عنده أقوى، فيقول: وترك التاء فـي جمـيع هذا الحدّ والوجه، وإثبات التاء فيه حسن لكثرته في كلامهـمّ [٣]. غير أننا نجد الفعل في الاستعمالات المعاصرة لا

---

(١) كتاب سيبويه ٥٣/١.

(٢) السابق ٢٤٧/٣.

(٣) السابق ٥١/١- ٥٣.

يكـــاد يفـــارق التأنيث في هذه الحالة، وقد مرت بعض العبارات علـــى هذا النحو، فهم يقولون: أجرت بعض المستشفيات عمليات ناجحة، وقامت بعض المدارس بالتدريب اللازم، واحتفلت بعض البلاد بالعيد، ولا نكاد نسمع تذكير الفعل في مثل هذه التعبيرات، وربمـــا عـــدّه بعضـــهم خطأً، مع أنه الحد والوجه - كما يقول سيبويه .

٩- تنص كتب النحو على أن الفعل الذي يرفع اسماً ظاهراً مجازي التأنيـــث يجـــوز أن تلحقه التاء، وأن يتجرد منها، تقول : طلعت الشـــمس، وطلـــع الشـــمس، وإن كـــان التأنيـــث أرجح، إلا أن الاستعمال المعاصر على إيثار التأنيث، وتجنب التذكير، فلا نكاد نســـمع مـــن يقول: طلع الشمس، وامتلأ الأرض بالعشب، ووقع الحـــرب بيـــن الطرفين، وامتّد النار إلى البيوت، ووقع العصا، وازدان (ازدانت) الدار بالضيوف، مع جواز ذلك في اللغة.

١٠- إذا رفـــع الفعـــل ضـــميراً متصلاً يعود على مؤنث حقيقي أو مجازي، وجب أن تلحقه علامة التأنيث، ولكنهم لا يلتزمون ذلك فـــي المؤنـــث المجازي، فهم يقولون: كأس العالم أعطي لفريق كندا، واليمين وقع على فلان، وأصبعه يؤلمه، وكفّه جرح .

١١- وكـــذا إذا وصـــف المؤنث المجازي أو عاد عليه الضمير، فهم يقولـــون : كأس العالم الذهبيّ، وكأس المباراة الفضيّ، وشربت مـــن بـــئر عميق، واليمين حلفته، والفعل أصلحته، وكفّه شددت علـــيه : ولا يقولـــون : كأس العالم الذهبية، أو الفضية، ولا بئر عمـــيقة، وكـــذا : اليمين حلفتها، والفعل أصلحتها، وكفّه شددت عليها.

١٢- إذا كـان الفـاعل جمـع تكسير المذكر عاقل جاز إلحاق تاء التأنيـث بالفعل وجاز تركها - كما سبق - ولكن لا يقول أحد: نجحت الطلاب، وسافرت الأولاد، ورحلت السكان، وربما كان الذوق معهم.

١٣- تشتمل العربية على بعض الأسماء التي تذكر وتؤنث - كما مـرّ - مثل : السلاح، والصاع، والعرس، والإزار، والعنق، والدلو، والعسل، والعايق، والعضد، والعجز، والنهر، والذراع واللسـان، والزقاق.. وهذه الألفاظ لا تكاد تستعمل اليوم إلا مذكّرة، فيقال : هذا السلاح حادّ، وهذا الصاع متقن، والإزار ارتديته، والعرس حضرته، وجرح العنق، وانكسر الدلو، ولا يلتفـتون إلى استعمالها مؤنثة، بل لا يكاد يكون ذلك سائغاً أو مقـبولاً، فمن يقول : العسل شربتها، والنهر قطعتها، واللسان عالجتها، والزقاق مشيت فيها ؟

ومع أن السكّين من هذا النوع إلا أنهم يلتزمون فيها التاء للقطـع بتأنيثها، فيقولون السكينة حادة، وتثلمت السكين. ولا يكاد يقول أحد : (هذه ولد) مع جوازه .

١٤- ومـن هـذا النوع أسماء تشتمل على تاء التأنيث الدالة على الوحـدة وتسـتعمل للمذكـر والمؤنّث، مثل شاة، ودجاجة، وحمامـة، ونعامـة، وبقرة، وهي لا تطلق في الاستعمالات المعاصـرة إلا علـى المؤنث، فلا نسمع من يقول : هذا شاة (للخروف) أو سخلة (للجدي) ولا هذا دجاجة(للديك) ولا هذا بقرة (للثور) مع جوازه في اللغة - كما سبق .

١٥- تأنيث الألفاظ المذكّرة، مثل رأس، وضرس، وبطن، وساعد، ومستشفى، فيقولون: رأسي تؤلمني، ورأسه عالية، وضرسي تؤرقـني، وبطنـي منتفخة، وله ساعد قوية، وهذه مستشفى واسـعة. والصـواب : رأسي يؤلمني، ورأسه عالٍ، وبطني منتفخ، وساعد قويّ، وهذا مستشفى واسع.

والقول بتأنيث(البطن) على الأرجح، كما قال حاتم الطائي:

وإنّكَ مهما تُعطِ بطنَكَ سُؤلَه وفرجَكَ نالا منتهى الذمّ أجمعا[١]

وذكـرت المعجمات عن أبي عبيدة أن تأنيث البطن لغة، وأجاز الأصمعي وابن الأثير وابن مالك تذكيره وتأنيثه. فيقال: هذا البطن وهذه البطن، وانتفخ البطن وانتفخت البطن[٢].

ومـن الـناس من يؤنث (الضرس) على معنى السن، والسن مؤنثة[٣]، ولكن يظل كل ذلك مرجوحاً.

١٦. الإكـثار من أعلام النساء المتخذة من المصادر، وإذا كانت تكتسب التأنيث المعنوي باقترانها بالمسمّى، وبالاستعمال، فإن العـرب حيـن أطلقوا المؤنثات المعنوية، مثل: سعاد وزينب وهـند وجُمْـل كانوا يحتكمون في ذلك إلى ذوق مرهف، ألا تـرى أنهـم كانوا يطلقون (رياض) و(ربيع) و (مشتاق) و (نـاعم) و(وحـيد) علـى الأنـثى، يطلقون: (ياقوت) و(مرجان) و (جوهر) و(كافور) على العبيد؟

---

(١) ديوان حاتم الطائي ص ٦٨ دار صادر وانظر : المزهر ٢/٢٢٣- ٢٢٤.

(٢) انظر : اللسان والتاج، مختار الصحاح (بطن).

(٣) محمد العدناني : معجم الأخطاء الشائعة (ضرس) مكتبة لبنان ١٩٨٣/٢.

وبعض هذه المصادر التي تستخدم أعلاماً، مثل إخلاص، إحسان، اعتماد، نضال، تيسير، نجاح، انتصار، رجاء، دعاء لا يشتم منها عبق الأنوثة، ولا يضوع منها عبير النساء لأنها أقرب إلى روح التذكير. وقد ناقشت صديقاً رزقه الله بنتاً فسمّاها (أمان)، فطال نقاشنا حول دلالة الاسم، ومدى توافر عناصر الأنوثة فيه.

١٧- تأنيث بعض الصيغ التي يلتزم فيها التذكير لأنها مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، فيقولون: بلاد معطاءة، وبنت مهذارة، ولحية حليقة، وامرأة جريحة، وهذه وليدة، وإدارة غيورة وفتاة صبورة، وطلعة شكورة، وعدّوا من الشاذ: فلانة عدوة هند (وإن سمع).

وهذه الأوزان (مفعال، وفعيل بمعنى مفعول إذا ذكر موصوفه [١]، وفعول بمعنى فاعل) لا تكون إلا مذكرة، ويوصف بها المؤنث كما يوصف بها المذكر، قال سيبويه :

" زعم الخليل أن فعولاً، ومفعالاً إنما امتنعتا من الهاء، لأنهما إنما وقعتا في الكلام على التذكير ولكنه يوصف به المؤنث " [٢] وقال اللحياني : ما كان على مفعال فإن كلام العرب والمجتمع عليه بغير هاء في المذكر والمؤنث، إلا أحرفاً جاءت نوادر قيل فيها بالهاء[٣]

والصواب فيما سبق : بلاد معطاء، وبنت مهذار، ولحية حليق، وامرأة جريح، وهذا وليد (بمعنى مولودة) وإدارة غيور وفتاة صبور، وطلعة شكور (بمعنى شاكرة) والأصح أن يقال : فلانة عدوّ هند .

---

(١) لا يقصد بذلك خصوص الوصف أو النعت النحوي بل يشمل ذلك ما إذا كان الوصف خبراً أو حالاً أو بياناً انظر منار السالك ٢/٢٧٧ هـ (٣).

(٢) سيبويه ٣/٢٣٧

(٣) معجم الأخطاء الشائعة (أعطى).

١٨- الكلمـــات التـــي جاءت علىَ "فعِيل" بمعنى فاعل وآثروا فيها التذكـــير حتى عندما تجري على المؤنث مثل صديق، ورفيق، وحبيب، وقريب، ونحوها، لا نجد من يستعملها على هذا النحو وتطبق الاستعمالات على المطابقة، فلا نجد من يقول : فاطمة صديق عائشة، ولا هند حبيب عليّ، ولا هذه رفيق وعد[١] .

١٩- إلحاق تاء التأنيث ببعض الأوصاف التي أطلقوها على المذكر والمؤنـــث مثل : عاشقة، عاقرة، عانسة، خادمة، ناشئة، غرّة، ويقولون : ناقة ضامرة، ولحية ناصلة الخضاب، وهي للمذكر والمؤنث على السواء، فيقال: رجل عاشق وامرأة عاشق، وكذا عاقـــر، وعانس، وخادم، وناشىء، وغرّ ، وناقة ضامر، ولحية ناصل الخضاب.

٢٠- ويجري هذا المجرى كلمات مثل : إنسان، وزوج، وعروس، وعجـــوز فهي للمذكر والمؤنث على الأصح، ولكنهم يقولون: إنسانة نبيلة، وزوجة فلان، وهذه عروسة وعجوزة .

قال السيوطى: وسمع إنسانة وبعيرة ولا نظير لهما، وقيل: إنّ من العرب من يقول فرسة [٢] وقال الفيروزآبارى : والمرأة : إنسان، وبالهاء عامية، وسمع في شعر كأنه مولّد:

لقد كستني في الهوى ... ملابس الصـــبّ الغزل

إنســـــــــانة فتّانة ... بدر الدجى منها خجل

إذا زنت عيني بهـــا ... فبالدمـــــوع تغتسل[٣]

---

(١) أخطاء مشهورة ص ٢٧.

(٢) المزهر ٢/٢٢٣.

(٣) القاموس المحيط (إنس).

أما " زوج " فوقع الخلاف فيها قديماً، فبنو تميم يقولون: هـــي زوجـــته، وأبى الأصمعي ذلك وقال : زوج، لا غير، واحتجّ بقول الله عزّ وجلّ " اسْكُن أنتَ وزوجُك الجنَّةَ " البقرة ٣٥ والأعراف ١٩، فقيل له: نعم: كذلك قال الله تعالى، فهل قال عزّ وجل: لا يقال زوجة ؟ وحين بلغ الأصمعي قولُ ذي الرُّمّة:

أذو زَوْجَةٍ بالمصرِ أم ذو خَصومةٍ
أراكَ لها بالبصرةِ اليومَ ثاويا

طعـــن فـــي ذي الـــرمة، وقال: إنّ ذا الرُّمة قد أكل البقل والمملـــوح فـــي حوانيت البقّالين حتى بشم [١]. وما ذهب إليه الأصمعى لغة أهل الحجاز وأزد شنوءة، حيث يضعونه للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً، تقول المرأة: هذا زوجي، ويقول الرجل : هذه زوجي[٢] وبذلك التنزيل، قال تعالى " فقلنا يا آدم إن هذا عـــدوّ لك ولزوجك" طه ١١٧، وقال " " أمسك عليك زوجك " الأحزاب ٣٧، وقال : " وإذا أردتم استبدال زوج مكان زوج " النساء ٢٠ ، أي امرأة مكان امرأة.

٢١- تأنيث بعض المصادر لجريانها على المؤنث، فيقولون : هذه صورة تجريدية محضة، وتلك لوحة فنيّة بحتة، ومن الناحية النظامية القحّة، وجاءت امرأة عدلة... وإن سمع نحو ذلك وأجازه بعضهم إلا أنه خلاف الأصل، والصحيح ترك التاء، فيقال: محض وبحت وعدل وقح [٣].

---

(١) انظـــر: حسن جاد، دراسات في النقد الأدبي ص ٥٣، وديوان ذى الرمة ص ٦٥٣ تحقيق مكارتنى، عالم الكتب.

(٢) لسان العرب (زوج).

(٣) انظر ما سبق : ما جاء دالاً على المؤنث من غير تاء.

أما " زوج " فوقع الخلاف فيها قديماً، فبنو تميم يقولون: هـــي زوجـــته، وأبى الأصمعي ذلك وقال : زوج، لا غير، واحتجّ بقول الله عزّ وجلّ " اسكن أنتَ وزوجُك الجنَّةَ " البقرة ٣٥ والأعراف ١٩، فقيل له: نعم: كذلك قال الله تعالى، فهل قال عزّ وجل: لا يقال زوجة ؟ وحين بلغ الأصمعي قولُ ذي الرُّمَّة:

أذو زَوْجَةٍ بالمصرِ أم ذو خَصومةٍ
أراكَ لها بالبصرةِ اليومَ ثاويا

طعـــن فـــي ذي الـــرمة، وقال: إنّ ذا الرُّمة قد أكل البقل والمملـــوح فـــي حوانيت البقّالين حتى بشم [١]. وما ذهب إليه الأصمعى لغة أهل الحجاز وأزد شنوءة، حيث يضعونه للمذكر والمؤنث وضعاً واحداً، تقول المرأة: هذا زوجي، ويقول الرجل : هذه زوجي[٢] وبذلك التنزيل، قال تعالى " فقلنا يا آدم إن هذا عـــدوّ لك ولزوجك" طه ١١٧، وقال " " أمسك عليك زوجك " الأحزاب ٣٧، وقال : " وإذا أردتم استبدال زوج مكان زوج " النساء ٢٠ ، أي امرأة مكان امرأة.

٢١- تأنيث بعض المصادر لجريانها على المؤنث، فيقولون : هذه صورة تجريدية محضة، وتلك لوحة فنيّة بحتة، ومن الناحية النظامية القحّة، وجاءت امرأة عدلة... وإن سمع نحو ذلك وأجازه بعضهم إلا أنه خلاف الأصل، والصحيح ترك التاء، فيقال: محض وبحت وعدل وقح [٣].

---

(١) انظـــر: حسن جاد، دراسات في النقد الأدبي ص ٥٣، وديوان ذى الرمة ص ٦٥٣ تحقيق مكارتنى، عالم الكتب.

(٢) لسان العرب (زوج).

(٣) انظر ما سبق : ما جاء دالاً على المؤنث من غير تاء.

ومـــن لطـــائف التعبـــير القرآنـــي قوله تعالى بعد ذكر المرضـــعة : " وتضـــع كل ذات حمل حملها " الحج ٢، قال الآلوســـي : " ولـــم يقل : وتضع كل حاملة ما حملت – على وزن ما تقدم – لما أن ذلك ليس نصاً في المراد، وهو وضع الجنيـــن، بخـــلاف مـــا في النظم الجليل، فأنه نصّ فيه، لأن الحمـــل – بالفـــتح – مـــا يحمـــل في البطن من الولد٠٠٠ (والمراد) وضع الجنين بأى عبارة كان التعبير إلا أن " ذات حمل " أبلغ في التهويل من حامل أو حاملة، لإشعاره٠٠ بأن الحامل تضع إذ ذاك الجنين المستقر في بطنها، المتمكن فيه، مع مافي الجمع بين الحمل والوضع من اللطف، فتأمل [١] .

٢٤- إدخـــال الـــتاء على " فعلان " لإكسابه التأنيث، فيقولون : فلانه غضبانة على زوجها وهي كسلانة في دروسها، والمدرسة ملأنة بالتلامـــيذ، وهـــي كالسكرانة، وفي بعض الكتب المدرسية: هي عطشانة٠

والصواب: غضبى، وكسلى، وملأى، وسكرى، وعطشى، قال التـــبريزي: وما كان من النعوت على مثال " فعلان" فأنثاه فَعْلى في الأكثر، [٢] إلا اثني عشر اسماً تأنيثها على " فعلانة " وهي : حـــبلانة (ممتلـــئة بالشـــراب) ودخـــنانة، وسخنانة، وسفيانة، وضـــحيانة، وصـــوجانة، وغلانة، وقشوانة، ومصانة، وموتانة، وندمانة، ونصرانة،[٣] على أن قبيلة بني أسد يقولون : سكرانة، وملأنـــــــة – بالتاء – مطلقاً ٠

٢٥- إحلال " فعلاء " محل فَعْلَة " فيقولون : شريعة سمحاء، وامرأة ســـمحاء، وقوانيـــن سمحاء، والصواب: شريعة سمحة، وامرأة ســـمحة، وقوانين سمحة، لأن المذكر (سمح) تقول : رجل سمح ونظام سمح وهو سمح الوجه٠ ويقال : قوم سمحاء بوزن فقهاء، ونساء سِماح على وزن فِعال[٤]

---

(١) تفسير الآلوسى ١١٢/١٧.،

(٢) المزهر كالسابق.

(٣) كالسابق.

(٤) مختار الصحاح (سمح).

٢٦- ويلحق بهذا وضع " فُعْلى " موضع " فعيلة " لغير مفاضلة، فيقولون: امرأة فصحى، وعبارة فصحى يريدون الاتصاف بالفصاحة فقط، من غير اشتراك ولا تفضيل، والصواب : امرأة فصيحة، وعبارة فصيحة، وكتابة فصيحة، لأننا نقول: رجل فصيح : يحسن البيان، ويميز جيد الكلام من رديئه، وكلام فصيح: سليم واضح يدرك السمع حسنه، والعقل دقته، ولسان فصيح: طلق يعين صاحبه على إجادة التعبير(١) ولذا يكون المؤنث على " فعيلة ".

٢٧- تبعيض المؤنث من المذكّر، مثل كانت فاطمة من الأوائل بين زميلاتها، وفي مقدمة الناجحين في مدرستها، وتسلمت جائزتها مع الفائزين من بنات الثانوية. والصواب: من الأوليات أو الأُول، وفي مقدمة الناجحات، ومع الفائزات. إن دل الحال على التأنيث، أو وجدت قرينة كما في الأمثلة.

فإذا كان الحديث عاماً جاز التذكير: كما في قوله تعالى : " وكانت من القانتين " التحريم ١٢، وقوله : " واركعى مع الراكعين " آل عمران ٤٣ وكذا إذا أريد التغليب .

٢٨- وصف " العشر " من الشهر بالمفرد المذكر، فيقولون : مضى العشر الأوّل من الشهر، وأقبل العشر الثاني وبقى العشر الثالث، والعشر في مثل هذا التركيب صفة لليالي (المقدرة أو المحذوفة) والمعنى: مضت الليالى العشر. ولذلك فالصواب أن يقال : مضت العشر الأولى، أو الأوليات، أو الأُول من الشهر، وأقبلت العشر الثانية أو الثواني، أو يقال العشر الوُسَط (جمع وسطى) وبقي العشر الأُخَر (جمع أخرى) أو العشر الأواخر (جمع آخرة) على ما ذكر الفيومى في المصباح (٢) .

---

(١) المعجم الوسيط (فصح).

(٢) الفيومى : المصباح المنير (عشر).

٢٩- إحـــلال جمـــع الإناث محل جمع الذكور، فيقولون : فلان من الطـــلاب الأُول. وهـــذا الجمـــعُ " الأُول " على " فُعَل " جمع الأُولـــى . مؤنـــث الأول، وتجمع " أولى" "أيضاً على " أُول " " كركَع "، وعلى " أُوليات " بالألف والتاء أما " الأوّل " فيجمع جمـــع المذكـــر ســـالماً على " الأولون " وجمع تكسير على " الأوائل " وأصله:

" أواول " ثـــم قلبـــت الواو الثانية همزة، ويمكن أن يقع فيه القلـــب المكاني، فيقال "الأوالي " . وعلى ذلك يكون الصواب: من الطلاب الأوّلين، أو الأوائل، أو الأوالي، والطالبات: الأُول أو الأُوَل أو الأوليات.

٣٠- وضع جمع الذكور موضع جمع الإناث، فيقولون : نساء كتبة، وســـحرة، وباعة، وصاغة، وهذة جموع مذكّرة، لأن مفردها : كاتـــب، وساحر، وبائع، وصائغ، ومؤنثها بالتاء: ويجمع على " فواعـــل " فيقال : كواتب وسواحر وبوائع وصوائغ أو بالألف والتاء : كاتبات وساحرات وبائعات وصائغات.

٣١- اســـتعمال ضـــمير جمـــع المذكر مكان ضمير جمع المؤنث، فنســـمع : المعلمـــات حضـــروا الاجتماع، الممرضات لبسوا ملابسهم، وأحضروا أدواتهم، والطالبات كرّموا مديرتهم.

والصـــواب: حضـــرن الاجـــتماع، ولبســـن ملابسهن وأحضرن أدواتهن، وكرّمن مديرتهن.

٣٢- مـــن أقـــبح الأخطـــاء ما نسمعه في بعض البلاد العربية في البيئات الشعبية من وضع ضمير جماعة الإناث موضع ضمير جماعـــة الذكـــور، فيخاطـــبون الرجال بقولهم : إذا سافرتن،

والتلاميذ بقولهم : إذا لعبتن في الشارع (بالتاء والنون الساكنة وهي أقرب إلى نون النسوة) .. وهكذا.

٣٣- استعمال جمع المذكر السالم في غير العقلاء، وربّما يّسروا ذلك بإيثار الياء على الواو، فهم يقولون : السيارات واقفين في الشارع، والملابس موسّخين، والأقلام حلوين، والأبواب مفتوحين، والشبابيك مكسّرين ... وهكذا .

وإنما يكون جمع المذكر السالم في أعلام أو أوصاف الذكور العقلاء. أما غير العاقل كما في هذه الأمثلة فيؤتى بالمفرد المؤنث أو جمع الإناث السالم. فيقال : السيارات واقفة أو واقفات والملابس متسخة أو متسخات، والأقلام حلوة أو حلوات - كما يقال : الجبال شاهقة أو شاهقات.

٣٤- استعمال ضمير جمع المذكر(العاقل) في غير العقلاء، فهم يقولون : الكتب نسيتهم، والأقلام وزّعتهم، والمقاعد نظّفتهم، ويقولون : الكتب وقعوا، والأقلام ضاعوا، والمقاعد توسّخوا.

والعربية في هذه الحالة تستعمل ضمير المفردة الغائبة في حالة النصب، فيقال : الكتب نسيتها، والأقلام وزّعتها، والمقاعد نظفتها، ويكون الضمير مستتراً، وتلحق الفعل تاء التأنيث الساكنة في حالة الرفع. فيقال : الكتب وقعت، والأقلام ضاعت، والمقاعد اتسخت.

ويمكن أن تستعمل نون النسوة في الموضعين، إذا لوحظت بعض الأغراض البلاغية كما في قوله تعالى: : إنّا عَرَضنا الأمانةَ على السمواتِ والأرضِ والجبالِ، فأبيَن أنْ يحملْنها، وأشفَقْنَ منها،

وَحَمَلَهـــا الإنســـانُ، إنّـــه كـــان ظلوماً جهولاً" الأحزاب ٧٢، قال الزمخشري :

" إن عـــرض الأمانـــة على الجماد، وإباءه وإشفاقه محال في نفســـه، غير مستقيم، فأخرج ذلك على التمثيل حتى أصبح أوقع فـــي نفس السامع وهي به آنس، وله أقبل، وعلى حقيقته أوقف، ونحـــو هـــذا من الكلام كثير في لسان العرب، وما جاء القرآن الإعلـــى طرقهم وأساليبهم، ومن ذلك قولهم : لو قيل للشحم أين تذهب؟ لقال : أسوًى العرج،وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات " (١).

٣٥- تذكـــير أفعـــل التفضيل الجاري على المؤنث في حالة وجوب المطابقـــة، مـــثل: اخترت لك الجائزة الأكبر، وأعطيتك الساعة الأفضل : وسكنت الغرفة الأوسط من الشقة الأكبر، وأثنيت على البنـــت الأصـــغر، وتمسك بالكلمة الأحسن، ويلحق بهذا مجيء (مـــن) بعـــد هذه الصيغ، فيقولون: الشقة الأكبر منهما، والبنت الأصغر منهن، والصواب في كل ذلك: الجائزة الكبرى، والساعة الفضـــلى، والغرفة الوسطى، والشقة الكبرى، والبنت الصغرى، والكلمة الحسنى.

---

(١) الكشاف ٢٧٧/٣ بتصرف.

المراجع

١- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار سحنون، تونس١٤١١هـ.

٢- سيد قطب: في ظلال القرآن ، دار الشروق سنة١٤١٢هـ.

٣- عبد الغني الدقر، معجم القواعد العربية، دار القلم، دمشق،١٤٠٦هـ.

٤- محمـــد عبد العزيز النجار: منار السالك إلى أوضح المسالك ، مطبعة الفجالة من دون تاريخ.

٥- محمد العدناني: معجم الاغلاط اللغوية، مكتبة لبنان ١٩٩١م.

٦- محيي الدين درويش: إعراب القرآن، دار الإرشاد، سنة ١٤٠٨هـ.